

تأملات فی أعظم آية من

كتاب الله

لفضيلة الشيخ الدكتور

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

حفظه الله تعالى

برنامج من إذاعة القرآن الكريم

١٤٣٠-٠٩-٠٥هـ

أعد المادة سالم الجزائري

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا
إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.
أمّا بعد،

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

أيها الإخوة المستمعون.. إن هذه الآية الكريمة -آية
الكرسي- صُدّرت بكلمة التوحيد الخالدة ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ﴾ وهي كلمة عظيمة، بل هي أعظم الكلمات وأجلها
وأفضلها، قامت بها الأرض والسموات، وخلقت لأجلها جميع
المخلوقات، وبها أرسل الله الرسل وأنزل الكتب، ولأجلها
نصبت الموازين، ووضعت الدواوين، وقام سوق الجنة والنار،
وبها انقسمت الخليقة إلى مؤمنين وكفار، وعليها نصبت القبلة
وأُسست الملة، وهي حق الله على جميع العباد، وهي كلمة
الإسلام ومفتاح الجنة دار السلام، وهي كلمة التقوى والعروة
الوثقى، وهي كلمة الإخلاص وشهادة الحق ودعوة الحق
والبراءة من الشرك، وهي أعظم النعم وأجل العطايا والمنن،
فليس في الكلمات كلها كلمة أفضل من هذه الكلمة، الله
لا إله إلا هو، فهي كلمة عظيمة جليلة الشأن عظيمة القدر
أفضل كلمة قالها نبي كما قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:
(خير ما قلته أنا والنبيين من قبلي لا إله إلا الله)، وهي
أفضل الذكر كما قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((أفضل
الذكر لا إله إلا الله)).

وفضائل هذه الكلمة وموقعها من الدين وقدرها وشأنها
فوق ما يصفه الواصفون ويعرفه العارفون؛ بل لها من الفضائل
والمزايا ما لا يخطر ببال ولا يدور في خيال.

وقد جاء في نصوص الشرع من كتاب الله -عز وجل-
وسنة نبيه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في بيان قدر هذه الكلمة
وفخامة شأنها ورفعة قدرها آيات كثيرة وأحاديث عديدة،
وقد نعتت في القرآن الكريم بنعوت مباركة، وصفت بصفات
كريمة تدل على عظم شأنها ورفعة قدرها.

فجاء في القرآن وصفها بأنها العروة الوثقى كما جاء ذلك
في الآية التي تلي آية الكرسي، فقال الله جل وعلا: ﴿فَمَنْ
يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ
الْوُثْقَى﴾ [البقرة: ٢٥٦]، أي استمسك بـ: (لا إله إلا الله)
التي هي خير مستمسك وأعظم عروة يتعلق بها العبد
ويستمسك بها لتحقيق نجاته وليحصل الربح في الدنيا
والآخرة.

وجاء وصفها بأنها الكلمة الطيبة كما قال الله -سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى-: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ
طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤)﴾ [إبراهيم: ٢٤].

ووصفها الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بأنها القول الثابت كما
قال جل وعلا: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا
يَشَاءُ (٢٧)﴾ [إبراهيم: ٢٧].

ووصفها الله -جل وعلا- بأنها دعوة الحق كما في قوله -
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا

يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٌ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾ [الرعد: ١٤].

ووصفها جل وعلا بأنها الكلمة التي جعلها إبراهيم الخليل إمام الخنفاء باقية في عقبه لعلهم يرجعون ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٨]؛ أي: لا إله إلا الله.

ووصفها -سبحانه- بأنها كلمة التقوى التي ألزمها الله نبيه -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه -رضي الله عنهم- وكانوا أحق بها وأهلها ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح: ٢٦].

ووصفها -تبارك وتعالى- بأنها العهد كما في قوله جل وعلا: ﴿إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧] قيل في تفسيرها أي لا إله إلا الله.

وجاء في القرآن وصف هذه الكلمة العظيمة بصفات كثيرة جدا تدل على عظيم مقام هذا الكلمة من الدين وأنها أساس المنة.

وجاء في سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- وصف هذه الكلمة المباركة بأنها أرفع شعب الإيمان وأعلاها كما في قوله -صلى الله عليه وسلم- المخرج في الصحيحين: ((الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من شعب الإيمان)).

كما جاء وصفها في السنة أيضا أنها لو وضعت في كفة الميزان ووضعت السموات والأرض في الكفة الأخرى ثقلت

بهن هذه الكلمة العظيمة، ففي المسند من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص بسند ثابت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أن نوحا عليه السلام قال لابنه: يا بني آمرك بلا إله إلا الله، فإنها إن وضعت في كفة، والسموات السبع والأراضين السبع في كفة لمالت بهن لا إله إلا الله، ولو كانت السموات والأرض حلقة مفرغة لقسمتهن، وفي رواية لقسمتهن لا إله إلا الله. وجاء عن النبي -صلى الله عليه وسلم- كما في المسند وغيره من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص -أنه قال: أنه -صلى الله عليه وسلم- قال: ((يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجلا منها مد البصر، فيقال له: أتنكر من ذلك شيء؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: أعندك عذر أو عندك حسنة؟ فيهاب الرجل فيقول: لا يا رب. ويقول الله سبحانه: إنك لا تظلم، فيخرج له بطاقة فيها (لا إله إلا الله) فيقول الرجل: يا رب، وما هي هذه البطاقة مع هذه السجلات، قال: فتضوع البطاقة في كفة والسجلات في كفة، قال: فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يتنقل مع اسم الله شيء)).

وهذا يدلنا -أيها الإخوة المستمعون- على عظم شأن هذه الكلمة وعظم أثرها وأن أثر هذه الكلمة بحسب صدق العبد فيها، وقوة الإيمان الذي يقوم في قلبه بالتوحيد والإخلاص الذي دلت عليه.

ففرق شاسع بين من يقول هذه الكلمة وهو لا يدري ما تدل عليه، ولا يحقق مقصودها، وبين شخص يعقل معناها

ويعرف مدلولها، ويحقق ما دلت عليه من التوحيد والإخلاص لله -سبحانه وتعالى-، فليست العبرة بالقول المجرد؛ بل لابد مع قول اللسان من قول القلب، وهذا هو الذي يفهم من مطلق الأمر بالقول في قوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٦]، وقوله -عليه الصلاة والسلام-: ((قل آمنت بالله)) وقوله -عليه الصلاة والسلام-: ((قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا)) ونحوها من النصوص، ولهذا كانت هذه الكلمة العظيمة أعظم مباني الإسلام، كما جاء في حديث ابن عمر في الصحيح أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: ((بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام))، فعد -عليه الصلاة والسلام- في هذا الحديث كلمة التوحيد لا إله إلا الله أعظم مباني الإسلام وفي الحديث الأول عدها أعلى شعب الإيمان.

وهذه الكلمة العظيمة لابد أن تكون صدقا وإيمان بالقلب يثمر الانقياد والعمل، وهذا الصدق والإيمان الذي في القلب لا يكون إلا عن فهم المعنى وعقل المدلول.

وللحديث صلة ومزيد بيان، وإلى لقاء آخر، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

